ملخّص برنامج بانوراما الرجعة العظيمة - الحلقة 35 / عبد الحليم الغزّي
الاطار الفكري والمعرفي للتفقه الزهرائي في عقيدة الرجعة العظيمة بحسب المنهج اليماني ج6
التواصل الصحيح مع القرآن ق6
موسى بين يدي الخضر ج2
السبت : 6/شوال/1446هـ - الموافق 5/4/2025م

"مُوسَى بْنَ يَدَي الْخضْر"، جَوابٌ على سُؤال يقول: أوَلَم يَكُن مُوسَى نَبِيّاً مِن أُولي العَزم، أوَلَم يَكُن مَأمُوراً بأن يُطِيعَ العَبْدَ الصَّالِحَ الخِضرَ عَلَيْه السّلام، فلماذا أشكَلَت عَلَيْه أفْعَالُ الْخضْر وَاسْتَصْعَبهَا وكَثُرت اعتراضاتُه؟

بدأتُ الجوابَ على هذا السؤال في الحلقة الماضية، وكانت جُزءاً أوَّلاً، وهذه الحلقةُ ستكونُ جُزءاً ثانياً..

بَيَّنتُ لَكُم من أنَّ الإشكالَ ينشأُ بسبب الثَّقافة الفَاشلة الفَاسدة، إنَّها ثقافةُ سَقِيفَة بني سَاعدة، إذا أردنَا أن نَعرِفَ الجوابَ الحقيقيَّ الوَاضح لابُدَّ أنْ نُشَخِّص مَنزِلَة مُوسى، وهذا يجعلُنَا نتحدَّثُ عَنْ؛

- النُّبُوَّة أوَّلاً.

- وعَن العصمة ثانياً.

إذا شَخَّصنا مَنزِلةَ مُوسَى النَّبيّ في هَذين الخَطّين في هَذين الاتِّجاهين في أُفُقِ النُّبُوَّة وفي أُفُق العصمة سيتَّضحُ الجواب ويرتَفعُ الإشكالُ منَ البَين مُطلقاً.

بدأتُ معكُم وأنا أُحَدِّثكُم في الحلقة الماضية عن النُّبُوَّة الْمُطلقَة والنُّبُوَّة الْمُقيَّدة، أكملُ من حَيْثُ انتهيتَ لأنَّني بَيّنتُ لَكُم الْمُرادَ منَ النُّبُوَّة الْمُطلقَة والنُّبُوَّة الْمُقيّدة، وبعدَ ذلكَ شَرعتُ في الحديث عن الملا محِ العَامَّة لهذهِ النُّبُوَّة إن كانت مُطلَقَةً أو كانت مُقيَّدةً من خِلال الآيات والرِّوايات، سأكملُ في هذا الاتِّجاه، وبعد ذلك أنقُلُ الحديثَ إلى العصمَة.

الآيةُ الثَّامنةُ والخَمسُون بَعْدَ البَسْمَلَة من سُورة البَقَرة: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوْا هَذِه الْقَرْيَةَ** - الخطابُ لبني إسرائيل، يقُودُهم مُوسَى النَّبيّ - **فَكُلُوْا منْهَا حَيْثُ شئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً** - لابُدَّ أنَ تَسجُدوا عِندَ الباب - **وَقُولُوْا حِطَّةٌ** - "وَقُولُوا حِطَّةٌ"؛ تَوسَّلوا عِندَ البابِ أن تُحَطَّ ذُنُوبكم يا بَني إسرائيل - **نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيْدُ الْمُحْسنِينَ**﴾.

الكلامُ واضحٌ هذا أمرٌ منَ اللّه إلى بني إسرائيل، والأمرُ مُوجَّهٌ أوَّلاً إلى مُوسَى النَّبيّ، وبعدَ ذلكَ يَتفرَّعُ من مُوسَى النَّبيّ إلى كُلِّ بني إسرائيل..

الَّذينَ سيكونونَ أكثرَ إحساناً في سُجُودهم وتَذلُّلهم وخُشُوعهم وتَوسُّلهم سينالُونَ ما ينالُون.

(تَفسيرُ إمامنا الحَسَن العَسْكَريّ صَلَوَاتُ اللّه عَلَيْه)، طبعةُ ذَوي القربى - الطبعةُ الأولى/ قُمْ المقدسة/ صفحة (231)، رقم الحديث السّابعُ والعُشرون بَعْدَ المئة، الروايةُ مُفصَّلةٌ، موطن الحاجة منها:

الإمام العَسكريّ يقول: **"وَادْخُلُوْا البَابَ"؛ بَابَ القَريَة، "سُجَّداً"؛ مَثَّلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ البَابِ مثالَ مُحَمَّد وَعَلِيٍّ وَأمرَهُم أنْ يَسْجُدُوا تَعْظيماً لذلكَ الْمثَال** - تستغربونَ من هذا؟! الملائكةُ طُراً سجدوا لأبينا آدم، وكانَ سُجودُهم لنُورِ مُحمَّد وآل مُحمَّد الَّذي شَعَّ شيء منْهُ في حقيقة آدم - **وَيُجَدِّدوْا عَلَىٰ أنْفُسهم بَيْعَتَهُمَا وَذكْرَ مُوالاتهمَا، وَليذكُرُوا العَهْدَ وَالْميثاقَ الْمَأخُوذَيْنِ عَلَيْهِم لَهُمَا** - لمُحَمَّد وعَلي - **"وَقُولُوْا حطَّة"؛ أيْ قُولُوا إنَّ سُجُودَنَا للّه تَعَالَىٰ تَعظيماً لمَثال مُحَمَّد وَعَلِيٍّ وَاعتقَادَنَا لوِلاَيَتهمَا حطَّةٌ لذُنُوبنَا وَمحوٌ لسيئاتنا** - تَوسُّلٌ في فناء مُحَمَّد وعلي صلّى اللّهُ عليهما وآلهما في حالةِ سُجود لِمَا مَثَّلَهُ سُبحانَهُ وتعالَى من مثالينِ لهُما، مُوسَى هُوَ أوَّل من فعلَ هذا.

دَقِّقوا النَّظر في مسألة النُّبُوَّة الْمُطلقَة والنُّبُوَّة الْمُقيّدة، لا وجه للمُقايسة بينَ النُّبُوَّتَين، هذه شُبهةٌ شيطانيّةٌ أن تَقيسوا عصمةَ مُوسَى بعصمة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد..

لا يُوجدُ أيّ إشكال وأيّ إبهامٍ في قُصَّة مُوسَى والخضر، الإشكالُ منشأهُ من هذه الثَّقافة الضَّالَّة الْمُضلّة، وإلَّا لو وَضعنا الأمورَ في نصابها بحسبِ الحِكمَة اليمانيّة الَّتي هي حِكمَةُ مُحمَّد وعلي وفَاطمَة والأئمَّة من وُلْد فَاطمَة منَ الْمُجتبى إلَى القَائم فلا يُوجدُ إشكالٌ في البَين مُطلقاً لا في قُصَّة مُوسَى ولا في سائرِ قُصص الأنبياء..

فَهُنا مُوسَى النَّبيّ خَرّ سَاجداً لِمثال مُحَمَّد وعليٍّ، وما قِيمةُ الْمثال للأصل؟! هذه الصُّورُ مُقدَّسةٌ، هذه الأمثلةُ مُقدَّسةٌ، ولكن ما قِيمتُها إذا أردنا أن نَقيسها بالأصل؟!

فَهُنا مُوسَى النَّبيّ ومعهُ الأخيارُ من بني إسرائيل سَجدوا لمثال مُحَمَّد وعليٍّ، لكنَّ شَعبَ بني إسرائيل هُم الَّذينَ استهزءوا بهذا الأمر فما دخلوا إلَّا بطريقة استهزائيّة، أبرزوا أدبارَهُم ودَخلوا منَ البابِ بأدبارِهم، مثلمَا تقولُ الرِّوايةُ:(بِأسْتَاهِهِم)، فدفعوا أدبارَهم ودخلوا وقالوا كلاماً سَخيفاً، أنا لا أُريدُ أن أتحدَّثَ عَن تفاصيل الواقعة..

في سُورة الشُّورى، الآية الثَّالثة والعشْرين بَعْدَ البَسْمَلَة: ﴿**ذَلكَ الَّذي يُبَشِّرُ اللَّهُ عبَادَهُ الَّذيْنَ آمَنُوْا وَعَملُوْا الصَّالحَات قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْه أجْراً إلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** - وماذا بعد؟ - **وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسنَةً** - الَّذي يزدادُ تَسليماً، الَّذي يزدادُ عِشقاً، الَّذي يزدادُ وَلاءً، الَّذي يزدَادُ مَعرفةً - **نَزِدْ لَهُ فيهَا حُسْناً إنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾، المنطقُ هُوَ المنطق..

في (غيبة النُّعمَانيّ)، المتوفَّى سنة (360) للهجرة، طبعةُ أنوار الهدى - الطَّبعةُ الأولى/ قُمْ المقدَّسة/ الصَّفحة الحَادية والخمسين، نَبيّنا الأعظَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله يقُول: **مَثَلُ أهْل بَيْتي فيكُم كَمَثَل بَاب حطَّة في بَني إسْرَائيل الَّذي مَنْ دَخَلَهُ غُفرت ذُنُوبُه وَاسْتَحَقَّ الرَّحْمَةَ وَالزِّيادَةَ منْ خَالقه، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: "ادْخُلُوْا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوْا حطَّةٌ نَغْفر لَكُم خَطَايَاكُم وَسنَزِيْدُ الْمُحْسنِيْن"** - "مَثَلُ أهْلِ بَيْتي"؛ هذا كلامٌ في أُفُق المداراة، فبابُ حِطَّةَ هُوَ مَظهرٌ من مَظاهرِ وَلايَتهم صَلَوَاتُ اللّه عَلَيْهِم..

في (الخصال) للصدوق، المتوفَّى سنة (381) للهجرة، طبعةُ مؤسّسة النَّشر الإسلامي/ قُمْ المقدَّسة/ صفحة (685)، الحديثُ العَلَويُّ المعروف: "حديثُ الأربع مئة"، أميرُ المُؤْمنيْن يقول: **وَنَحْنُ بَابُ حطَّة وَهُوَ بَابُ السَّلام مَنْ دَخَلَهُ نَجَا وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ هَوَىٰ، بنَا يَفتَحُ اللّه وَبنَا يَختمُ اللّه وَبنَا يَمْحُو مَا يَشَاءُ وَبنَا يُثبت** - هذا هُوَ بابُ حِطَّة..

في زيارة سيد الشُّهداء من (مفاتيح الجنان)، للمُحدِّث القُمِّيّ، الزِّيارةُ المخصوصةُ الأولى من زيارات سيّد الشُّهداء وَهِيَ الزِّيارة الرَّجبيةُ والشَّعبانيّة، هكذا نُسَلِّمُ على الحُسَين: **السَّلامُ عَلَيْكَ يَا شَرِيْكَ الْقُرْآن** - الإشارةُ إلى حَديْث الكتابِ والعِتْرَة - **السَّلامُ عَلَيْكَ يَا عَمُودَ الدِّيْن** - وَلايتهُ عمودُ الدِّين، وإنَّما قِيلَ للصَّلاة العبادة

اليوميّة من أنَّها عمودُ الدِّين لأنَّها صُورةٌ لولايَتهم - **الْسّلامُ عَلَيْكَ يَا بَابَ حِكْمَةَ رَبِّ العالَمين، الْسّلامُ عَلَيْكَ يَا بَابَ حِطَّةِ الَّذِيْ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ مِنَ الآمِنِيْن** - فهذه الْمُفردةُ القُرآنيَّةُ مُفردةُ باب حطَّة مُفردةٌ مُحمَّديَّةٌ عَلَويَّةٌ فَاطميّةٌ حَسَنيّةٌ حُسينيّةٌ مَهدويَّةٌ صِرْفَة..

تُلاحظونَ أنَّ كَلماتهم يشرحُ بعضُها بَعضاً ويشدُّ بعضُها بعضاً في بِناءٍ مرصوص، في حالةٍ مِنَ الاتِّساقِ والتَّنسيقِ الَّذي يُشَكِّلُ هندسةً مَعنويَّةً عجيبةً جِدَّاً، تَماسُكٌ شديدٌ مَا بَينَ آيَاتِ الكتاب وأحاديثهم التَّفسيريَّة وخُطَبِهِم وزِياراتهم وأدعيتهم..

في سُورة الأعراف، الآيةُ الثَّالثةُ والأربعون بعدَ المئة بعد البسملة: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا** - في أحاديثنا التفسيريّة: "وخَرّ مُوسى ميتاً" - **فَلَمَّا أَفَاقَ**﴾، إنَّها رجعةٌ مُوسويَّةٌ - **فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾، أنا لا أُريدُ أن أقفَ عندَ هذه الآية المشحونة بالأسرار..

في (بَصائر الدَّرجات)، لمحمَّد بنِ الحسنِ الصفَّار من أصحابِ إمامنا الحَسَن العَسكريّ صَلَواتُ اللَّه عَلَيه ومن رِجال الغَيبَة الأولى، طبعةُ مؤسَّسة النُّعمان/ بيروت - لبنان/ الصَّفحة الثَّانية والثَّمانين، الحديثُ الثَّاني من هذا العنوان: "نادرٌ منَ الباب": **بِسنده** - بِسند الصَّفَّار - **عَنْ إِمَامَنَا الْصَّادِق صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلامُهُ عَلَيْه: إِنَّ الْكَرُوبِيِّيْنَ** - صِنفٌ من أصناف قُطَّانِ الملأ الأعلى، إنَّهم أشرفُ أصناف الملائكة - **قَوْمٌ مِنْ شِيْعَتِنَا مِنَ الْخَلْقِ الأَوَّل** - هُناكَ خَلْقٌ أوَّل وهُناكَ خَلقٌ ثانٍ - **جَعَلَهُم اللَّهُ خَلْفَ العَرْش** - ما خَلفَ العَرشِ الخَلقُ الأوَّل، وما أمامَ العرشِ الخَلقُ الثَّاني، الملائكةُ الَّذينَ يتواصلُونَ معَ عَوالمِ الشَّهادة والطَّبيعة - **لَو قُسِّم نُورُ وَاحد منهُم عَلَىٰ أَهْل الأَرْض لَكَفَاهُم** - لَكَفَاهُم؛ لَما بَقيت هُناكَ من ظُلمة، لا من ظُلمة في الجانب الحسّي، ولا من ظُلمة في الجانب المعنوي - **ثُمَّ قَالَ** - إمامُنَا الصَّادقُ صَلَوَاتُ اللَّه عَلَيه - **إِنَّ مُوسَىٰ لَمَّا سَأَلَ رَبَّهُ مَا سَأَل** - لَمَّا قالَ لِربِّه؛ ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُر إِلَيْك﴾، الإمامُ الصَّادقُ يُشيرُ إلى قَولَة مُوسى هذه - **أَمَرَ** - اللَّهُ سُبحانَهُ وتَعالَى - **أَمَرَ وَاحداً مِنَ الكَرُوبِيِّين فَتَجَلَّى لِلجَبَلِ فَجَعَلَهُ دَكَّاً** - في رواياتٍ من أنَّ النُّورَ الَّذي تَجلَّى كانَ بِمقدارِ ما يخرجُ من ثَقبِ إبرة، والرواياتُ تُخبِرنا من أنَّ الجبلَ في وجودِه الحسّي تلاشى وفي وجودِه الحقيقي لا زال يهوي، وليسَ لهُ من ذنب، الأحاديث عندنا تقول؛ "هذا الَّذي تُشاهدونهُ في حزمِ الضِّياء الَّتي تَدخُلُ إلى البُيوتِ والغُرفِ والحُجرِ والبنايات إذا ما دَقَّقنا النَّظرَ في حُزمِ الضِّياء هَذه هُناكَ ذَرَّاتٌ تتحرَّكُ، إذا ما حاولنا أن نُمسكَ بها لن نستطيعَ أن نُمسكَها وهذه الَّتي يُسمِّيها العربُ؛ "بذرَّة الهباء"، لأنَّها لا تُمسكُ باليدِ إنَّها صغيرةٌ جِداً ولَكنَّنا لا نستطيعُ أن نُمسك بها، إمامُنا الصَّادقُ صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلامُهُ عَلَيه يقول؛ "هذه بَقايا الجَبل في الجانب الحسّي"، في الجانب المعنوي الرواياتُ تقول من أنَّ الجبلَ لا زالَ يهوي ويهوي ويهوي، من نُورٍ كَروبِي من بَعض نُورِه، وهؤلاء قومٌ من شيعَتهم، أينَ وجهُ المقايسة بينَ مُحمَّد وآلِ مُحمَّد والأنبياء؟! لا وجه للمُقايسة..

أقولُها لَكُم منَ الآخر: **"مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد كائناتٌ إلهيَّةٌ تُحسَبُ على البَشَر".**

وأمَّا الأنبياءُ والرُّسلُ فَهُم كائناتٌ بشريَّةٌ تُحسَبُ على مُحمَّد وآلِ مُحمَّد، فأينَ وَجهُ القياس؟! هذه خُلاصةُ حقائق القُرآن وحقائقِ معارفِ العِتْرَةِ الطَّاهِرَة..

- **فَجَعَلَهُ دَكَّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً** - مَاتَ مُوسَى! كُفرٌ هذه المقايسة، أن تُقايسوا بينَ الأنبياءِ وبينَ مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّد، كُفرٌ عَقليّ..

سأنتقلُ بِكُم إلى العصمة الْمُطلقَة والعصمة الْمُقيَّدة؛

النُّبُوَّةَ الْمُطلقَة عصمَتُها مُطلقةٌ، ولأنَّ النُّبُوَّةَ الْمُقيّدةَ عصمَتُها مُقيّدةٌ، وأعتقدُ أنَّ الأمرَ واضحٌ لا يحتاجُ إلى كثيرٍ من الكلام، إذا اتَّضحَ عندنا معنى النُّبُوَّة الْمُطلقَة فإنَّ العصمة الَّتي تُلازمُها ستكونُ عصمةً مُطلقةً أيضاً، والأمرُ هُوَ هُو بالنِّسبة للنُّبُوَّة الْمُقيَّدة، سأُحدِّثكُم عن العصمتين؛ "الْمُطلقة والْمُقيّدة".

العصمةُ الْمُطلقةُ؛ خاصَّةٌ بِمُحمَّدٍ وعَلِي وفَاطِمَة والمعصومينَ من وُلْدِ فَاطِمَة من الْمُجتبى إلى القائم، إنَّها سلسلةُ الأئمَّة المعصومينَ الأربعة عشر، صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلَامُهُ عَلَيْهِم أجْمَعِيْن..

لقطاتٌ من آيات الكتاب الكريم ترسمُ لنا صورةً تقريبيّةً تُقَرِّبنا من فناء العصمَة الْمُحَمَّديَّة العَلويَّة الفَاطميَّة، الآياتُ الأولى منْ سُورة النَّجم بعدَ البَسْمَلة: ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۞ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۞ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾، الآياتُ واضحةٌ تُخبرنا عَنْ أنَّ كُلَّ ما ينطقُ به مرتبطٌ باللَّه سُبحانهُ وتعالى، أنفاسهُ إلهيَّةٌ، بغضّ النَّظر عَن ألفاظِه، مُحمَّدٌ وجودهُ إلهي، كلامهُ إلهي، صَمْتُهُ إلهي، نَظَراتُهُ إلهيَّةٌ، أنفاسهُ إلهيَّةٌ، كُلُّهُ إلهي، كُلٌّ كُلِّه إلهيٌّ هذا هو مُحمَّد..

دينُ اللَّه سيتجلَّى في الرَّجعة العَظيمة وفي أكملِ صُوره في زمانِ الدَّولَة الْمُحَمَّديَّة العُظمى والَّتي ستستمرُّ زماناً طويلاً خمسينَ ألف سنة، هذا هُوَ مُحَمَّدٌ، وأنا لا أقُولُ من أنَّ الآيات تتحدَّثُ عَن عصمته أبداً، عصمتهُ أوسعُ من كُلِّ ما في القُرآن، لأنَّ القُرآنَ شأنٌ من شُؤونه فَعصمتهُ أوسَعُ منَ القُرآن، عصمةُ اللَّه تتجلَّى في عصمةِ مُحمَّد وآلِ مُحمَّد صَلَواتُ اللَّه عَلَيهِم، لَكنَّ الَّذي يأتي في هذه الآيات شيءٌ من آثارِ عصمتهم..

في سورة طه، بعدَ البَسْمَلة: ﴿**طه** - إنَّهُ رمزٌ من رُموزِ مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله، اسمٌ من أسمائه القُرآنيّة - **مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ**﴾، أنتَ لَست مُكلَّفاً بالقُرآن، هذا هُوَ المنطقُ الواضحُ والصَّريح، هذا خطابُ الحبيبِ معَ حَبيبه، إلَّا أنَّ مُحمَّداً صلَّى اللَّهُ عَلَيه وآله يقومُ بدور الأسوة، فَهُوَ الأسوةُ العلميَّةُ والعَمليَّةُ والعباديَّةُ والأخلاقيَّةُ والحاكميَّةُ والمحكُوميَّة، مُحمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عليه وآله يُمثِّلُ لنا الأسوة ا لكاملة في جميعِ اتِّجاهاتِ حياتنا، يبذُلُ أقصى جُهوده حُبّاً فيمَا يُريدهُ حَبيبُهُ - **إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ**﴾، هذا لغَيرِك، فأنا لا أُريدُ شَقاءك يا طه، أنتَ أكبرُ من ذَلك وأنتَ أعظمُ من ذلك، ولكنَّ طه يذهبُ في عُبوديَّته بعيداً، كَلماتُ نَبِينا صلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله تُؤكِّدُ أنَّ مسارهُ كانَ في العُبوديَّة، معَ أنَّ مسارَ الْمُلوكيّة كَانَ بينَ يديه جاهزاً وحاضراً، لكنَّ مَسارَهُ كانَ في العُبوديَّة إيغالاً في حُبِّه للَّه سُبحانَهُ وتعالى، فمُحمَّدٌ هُوَ الحبيب، فهذا المقامُ تتجلَّى فيه عُبوديَّةُ مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله باختياره وبِحُبِّه.

القُرآنُ تذكرةٌ لمَن يخشى ولَيسَ لَك، ومن هُنا قُلتُ لَكُم مَن أنَّ عِصمةَ مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَليه وآله أوسعُ منَ القُرآن معَ عَظَمة القُرآن وسعَته، لكنَّ عصمةَ مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وآله هي الَّتي تُحيطُ بالقُرآن.

في السِّياق نَفسه، الآيةُ السادسةُ بعدَ البَسْمَلة من سُورة الكهف: ﴿**فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ** - البَاخعُ هُوَ الذَّابح وهُوَ القَاتلُ - **إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾، إنَّكَ تَقتُلُ نَفسَكَ يا مُحمَّد أسفاً وحَسرةً عليهم، تُريدُ لَهُم الهُدى، ولكنَّهُم خَائبونَ، وأيَّةُ خَيبة؟! أنتَ أعظمُ من ذَلكَ يا مُحمَّد لكنَّ مُحمَّداً يُوغِلُ في العُبوديَّة، إلى هذا الحد الَّذي يَصفهُ اللَّه بأنَّهُ يَقتلُ نَفسهُ..

في سورة ص، الآيةَ الخامسة والسبعين بعدَ البسملة، أمرَ اللَّهُ الملائكة أن يَسجُدُوا لأبينا آدم، سَجدوا إلَّا إبليس: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾، العَالُونَ مُحمَّدٌ وآلُ مُحمَّد لأنَّ المشهدَ واضح؛

- هُناكَ اللَّه سُبحانهُ وتعالَى الَّذي أمرَ الملائكة أن يسجدوا لأبينا آدم.

- هُناكَ أبُونا آدم الَّذي سُجِدَ لهُ.

- وهُناكَ الملائكةُ الَّذينَ سَجدوا.

والآيةُ تقول: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ**﴾، طُرّاً بأجمَعهم، من دُون استثناء، لو قالت الآيةُ: (فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ)، لكان هذا يعني أنَّ جَميعَ الملائكة قد سَجدوا، فهذا جمعٌ تَكسيريٌ مُعرّفٌ بالألف واللام، والجمعُ التكسيريُ المُعرّفُ بالألف واللام من دُونِ أيَّةِ استثناءاتٍ مِن دُونِ أيَّةِ قُيُود يدلُّ على الجميع، ولَكنَّ الآية أردَفت تأكيداً: ﴿**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ** - ثُمَّ أردَفَت ثانيةً تأكيداً - **أَجْمَعُونَ** ۞ **إِلَّا إِبْلِيسَ**﴾.

إذاً مَن بَقيَ في هذا المشهد؟ بَقيَ العَالُون الَّذينَ لا يَسجُدُونَ إلَّا لِلّه، الرِّواياتُ تُخبِرنا عن رَسول اللّه عَنهُم صَلَواتُ اللّه عَلَيْهِم؛ "العَالُونَ مُحَمَّدٌ وعَلِيٌ وفَاطمَةُ والحَسَنُ والحُسين"، هؤلاء هُم العَالُون، فإنَّ اللّه يقُولُ لإبليس لِماذا لم تَسجُد لآدم؟ هل كُنتَ مُستكبراً تستكبرُ على أمري، أم أنَّكَ تَحسَبُ نفسَكَ مِنَ العَالِين، من هذه المجموعة العاليَة الَّتي لا يُمكنُ أن تَسجُدَ لآدم؟ لأنَّ آدم كُرِّمَ بالسُّجُود له لأنَّ شيئاً من أنوارِهم سطعَ فيه في أصلِ فطرته، لأنَّ الفطرة في مضمونها كَما تُحدِّثنا الأحاديثُ المعصُوميةُ الشَّريفَة: (لا إلَه إلَّا اللّه، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه، عَلِيٌ وليّ اللّه)، هذا هُوَ مضمونُ الفطرة..

في سورة الأنبياء، الآية التاسعة بعد العاشرة بعدَ البسملة: ﴿**وَلَهُ** - الضَّميرُ يعودُ على اللّه - **مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾، الكائناتُ العَاقلة وحتَّى غيرُ العاقلة لَهُ، لكنَّ الآيةَ تتحدَّثُ عَنْ الكائناتِ العَاقلةَ مِنَ الملائكةِ مِنَ الجنِّ مِنَ البَشرِ من دَوابِّ السَّماوات، من الكائناتِ العاقلةِ الَّتي تنتشرُ في أفاقِ هذا الفَضاءِ الواسعِ المُمتد.

وماذا بعد؟ - **وَمَنْ عِنْدَهُ** - مَن هُم هؤلاء؟ الجميع، هُناكَ مجموعةٌ عندَه، (وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعَزِّ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ الَّذي خَلَقتَهُ - هذا الاسمُ الأعظَمُ مَخلوقٌ - الَّذي خَلَقتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلا يَخرُجُ مِنْكَ إِلَى غَيرِك)، هؤلاء هُم العَالُون؛ "**وَمَن عِندَهُ**"، ومن هُنا قُلتُ من أنَّهُم كائناتٌ إلهيّةٌ لا تَخرُجُ عن هذا الحدّ، لكنَّها تَتمظهرُ بالمظهر البشري، أمَّا الأنبياءُ كائناتٌ بشريَّةٌ تُحسَبُ على مُحمَّد وآل مُحمَّد، قَطراتٌ من نُورِ نَبِيِّنا في بعضِ منازله..

وهذا المضمونُ ليسَ من عندي، إمامُنا الصَّادقُ يقولُ للمُفضَّل: وهَل هُم غَيرُنا، هل هُم غَيرُ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد؟! القُرآنُ لا يُفهَمُ إلَّا بتفسيرِهم بتفصيلِهم بتأويلِهم بالتَّدبُّرِ فيه وفقاً لثقافَتِهم ومَنطقِهم وأُصولِهم، (هَـٰذا عَلِيٌ يُفَهِّمُكُم بَعْدي)، على هذا بايعَنا رَسُولَ اللّه في بيعة الغدير، وهذا هو الفَهمُ العَلَويُ للكتابِ الكريم، قطعاً في الأُفُقِ الَّذي نُحيطُ به علماً برغمِ قُصُورِنا وتَقصيرنا..

﴿**وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ**﴾، إنَّها العُبوديَّةُ الَّتي حدَّثتكم عنها - **وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ**﴾، وتستمرُّ الآيات في أجواءِ مُحَمَّدٍ وعليٍ وآلِهما الأطيبينَ الأطهرين.

في سُورةِ الأنفال، الآيةُ السَّابعةُ بعدَ العَاشرةِ بَعْدَ البَسْمَلَة، وجَاء فيهَا: ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ** - يا رَسُولَ اللّه - **وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ**﴾، هذهِ آثارُ عِصمَتِهم، مثلما هُوَ إلهيٌ في مَنطقِه هُوَ إلهيٌ في أفعاله..

ما الَّذي جرى على الأرض؟ قبلَ أن تبدأ المعركة النَّبيُّ الأعظمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وآله مَدَّ يَدَهُ إلى الأرض فأخذَ كَفّاً من حَصبائِها من تُرابِها ورَماهُ في وجُوه القَوم وقالَ لهم: "شَاهَت الوجُوه"، كُلُّ الَّذين وصلَ إلى وجوههم جزء من ذلكَ التُّراب قُتلوا في المعركة، سُبحانَهُ وتعالى يقولُ لرسُول اللّه لهذا الفعل الجزئي أنَّ النَّبيَّ أخذَ كَفّاً منَ التُّراب يقول لهُ من أنَّكَ ما كُنتَ فاعلاً هذا بنفسك في مَعزِلٍ عَنِّي أنا الَّذي فعلت، هذه هي العصمةُ الْمُطلقَةُ الَّتي أتحدَّثُ عَنهَا، فأيُّ كائنٍ بهذهِ المنزلة بهذا المنطق؟ فإنَّ الأنبياءَ لا عصمة لَهُم بالقياس إلى مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، هُم معصُومونَ بالقياسِ لي ولَكُم..

في سُورة الفَتح، الآيةُ العَاشرةُ بَعْدَ البَسْمَلَة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ** - وماذا بعد؟ - **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾، يَدُ اللّه فَوقَ أيديهِم؛ إنَّكُم تَضعونَ أيديكُم في يَد اللّه، ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ**﴾، هذا هُوَ الَّذي قصدتهُ من أنَّ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّد كائناتٌ إلهيّةٌ تُحسَبُ على البشر، بينما الأنبياءُ كائناتٌ بشريَّةٌ لا أقولُ تُحسَبُ على اللّه وإنَّما تُحسَبُ على مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد في أفنيةِ شيعَتِهم..

أَدَقُّ تَعْرِيف لعصْمَتِهِم صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلَامُهُ عَلَيْهِم أَجْمَعِين:

في (مفاتيح الجِنَان)، للمُحدِّث القُمّي، دُعاءُ إمامِ زَمانِنا في شَهرِ رَجَب، الدُّعاءُ الَّذي أوَّلُه: **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَانِي جَمِيعِ مَا يَدْعُوكَ بِهِ وُلَاةُ أَمْرِكَ الْمَأْمُونُونَ عَلَىٰ سِرِّكَ** - إلى آخر الدُّعاء الشَّريف، هذا الدُّعاءُ من توقيعاتِ النَّاحيةِ المقدَّسة وردَنا عن إمامِ زماننا صَلَواتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيْه، هذا أدقُّ وأعمقُ تَعريف للعصمةِ المُحَمَّديَّة العَلَويَّة الفَاطميّة، هذه مَنزلةُ عصمَتِهم: **لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا** - لَا فَرقَ بَينَكَ يا اللّهُ وبَينَ حقائقِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد - **إِلَّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُكَ** - هُم مَخلُوقُون؛ (وَبِاسْمِكَ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعْظَمِ الأَعَزِّ الأَجَلِّ الأَكْرَمِ الَّذي خَلَقتَهُ فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّك)..

وجاء الضَّمير مُؤنثاً لأنَّهُ يُشيرُ إلى الحقائق الَّتي تَحدَّث عنها الدُّعاء: "**وَآيَاتِكَ وَمَقَامَاتِكَ الَّتِي لَا تَعْطِيلَ لَهَا** - التأنيثُ هذا سببهُ - **فِي كُلِّ مَكَانٍ يَعرِفُكَ بِهَا مَن عَرَفَك، لَا فَرقَ بَينَكَ وَبَينَهَا**"، فهذه الضَّمائرُ كُلٌّ منها يعودُ إلى الجهة الَّتي يَتعلَّقُ بها.

فإنَّ الَّذينَ يُبايعونَ مُحمَّداً وعَلِياً إنَّما يبايعونَ اللّه، هذا هو منطقُ القُرآن، (**لَا فَرْقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا أَنَّهُم عِبَادُكَ وَخَلْقُك**)، كائناتٌ إلهيّةٌ تتمظهرُ بالمظهر البشري.

دعاءُ ليلة المبعث الشَّريف، ومثلهُ الدُّعاءُ الَّذي يُقرأ في يوم المبعث الشَّريف إنَّهُ اليومُ السَّابعُ والعشرون من شهرِ رجب، هذه الأدعيةُ تُقرأُ في ليلة المبعث وفي يوم المبعث بهذا المضمون: **فَأَسْأَلُكَ بِهِ وَبِاسْمِكَ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَعْظَمِ الْأَجَلِّ الْأَكْرَمِ** - وفي بعض الرِّوايات: (الأَعَزِّ الأَجَلِّ الأَكْرَم) - **الَّذِي خَلَقْتَهُ** - فهذا الاسمُ الأعظمُ الأعظمُ الأعظم مَخلُوقٌ الَّذي خَلقتهُ الحقيقةُ المُحمّديّةُ العُظمى - **فَاسْتَقَرَّ فِي ظِلِّكَ فَلَا يَخرجُ مِنْكَ إِلَىٰ غَيْرِك** - أي أنَّ طبيعتهُ طبيعةٌ إلهيّة؛ ﴿**ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ**﴾، مثلما نقرأُ في سورة النَّجم إنَّها مرَّةُ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عليه وآله: ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ** ۞ **ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ**﴾، المِرّةُ الطبيعة، طبيعةٌ مُستوية، نَحنُ نتحدَّثُ عَنْ سَاكنِ المدينة، عَن صَاحبِ الوَقارِ والسَّكينة، نتحدَّثُ عَنْ مُحَمَّدٍ الأعظَمِ الأعظَم، المِرَّةُ المُحَمَّديَّةُ المُستويةُ الَّتي لا نقصَ فيها ولا عَيبَ فيها..

التَّعابيرُ هيَ هيَ، ما قرأتهُ في دُعاء شهرِ رجب هُوَ هُوَ هذا الَّذي أقرؤهُ عليكُم من دُعاء ليلة المبعث، ومن دُعاء يوم المبعث أيضاً، هُناكَ دُعاءٌ يُقرأُ في يوم المبعث غيرَ هَذا الدُّعاء، لكنَّهُ يشتملُ على نفسِ هذا المضمون، لأنَّ ليلةَ المبعث في ثقافةِ العِترَةِ الطَّاهرةِ هيَ ليلةُ التجلّي الأعظم، والتجلّي الأعظم هُو هذا، ليلةُ المبعث هيَ انعكاسٌ أرضيٌ للتجلّي الأعظمِ في الملأ الأعلى وليسَ في الأرض..

في الدُّعاء الَّذي نقرؤهُ بعدَ زيارة عاشوراء، الدُّعاء الَّذي يُعرَفُ في كُتُبِ الأدعية؛ "بِدُعاء عَلقمة"، مرويٌّ عَن إمامنا البَاقرِ صَلَواتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيْه، فهذا الدُّعاءُ يُخاطبُ عَلِياً أميرَ الْمُؤمنِين والحُسين الشَّهيد بنحوٍ مباشرٍ ونُخاطبُ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّد جميعاً بنحوٍ غيرِ مُباشر، نقول في هذا الدُّعاء:

إِلَىٰ اللّه انْقَلَبْتُ عَلَىٰ مَا شَاءَ اللّه، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّه، مُفَوِّضاً أَمْرِي إِلَىٰ اللّه مُلْجِئاً ظَهْرِي إِلَىٰ اللّه، مُتوكِّلاً عَلَىٰ اللّه وَأَقُول حَسْبِيَ اللّه وَكَفَىٰ سَمِعَ اللَّهُ لِمَن دَعَا لَيْسَ لِي وَرَاءَ اللّه وَوَرَاءَكُم يَا سَادَتِي مُنْتَهَى - هذا التَّعبيرُ هُوَ هُوَ عَن المضمون الَّذي مرَّ علينا في دُعاء شَهرِ رَجب الَّذي يُقرأُ يومياً أو في دُعاء ليلة المبعث..

حتَّى نَصلَ إلى القَولِ البليغِ الكاملِ إلى الزِّيارةِ الجامعةِ الكبيرة، كُلُّ جُملةٍ فيها تُعطي نَفسَ المعنى، لكنَّها تُصاغُ بِصياغةٍ لَفظيّةٍ مُعيّنة، أأخُذُ جُملةً واضحةً صريحةً لا تحتاجُ إلى تطويلٍ في الشَّرحِ والبيان، هكذا نُخاطِبُهم في الزِّيارةِ الجامعةِ الكبيرة: "**وَمَنْ اعْتَصَمَ بِكُم فَقَدْ اعْتَصَمَ بِاللّه**"، عِصمَتُهم عِصمةُ اللّه وانتهينا، لكنَّنا لا نستطيعُ أن نعتَصِمَ باللّه، تَكويناً لا نستطيع، هُناكَ حُجُبٌ فيما بَيننا وبينَ اللّه فَهُو الَّذي جعَلَهم عِصمَتهُ، فإذا أردنا أن نعتَصِمَ بِهِ سُبحانَهُ وتعالى فإنَّنا نعتصمُ بِهِم لِماذا؟ لأنَّهُم عِصمةُ اللّه..